باب الذال المعجمة

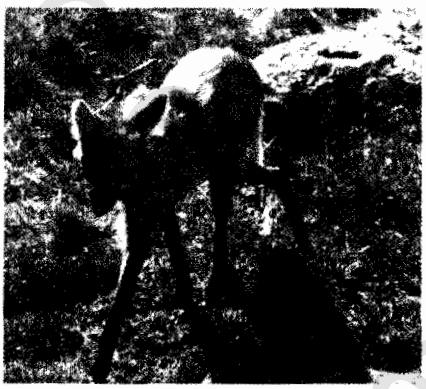

ذؤالة: اسم للذئب، كأسامة للأسد، وهو معرفة سمّي بذلك لأنّه يذأل في مشيته من الذألان، وهو المشي الخفيف، وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ مر بجارية سوداء ترقّص صبياً لها وتقول:

ذؤال يـا بـن الـقـرم يـا ذؤالـه

فقال ﷺ: «**لا تقولي ذؤالة، فإنه شر السباع**»، وذؤال ترخيم ذؤالة، والقرم السيد.

الذباب: معروف، واحدته ذبابة، ولا تقل ذبانة، جمعه في القلة أذبة، وفي الكثرة ذبان بكسر الذال وتشديد الباء الموحدة وبالنون في آخره كغراب وأغربة وغربان وقراد وأقردة وقردان، قال النابغة:

يـا واهـب الـنـاس بـعـيـراً صـلـبـه ضـرابـة بـالـمـشـفـر الأذِبّـةْ

ولا يقال ذبابات إلاّ في الديون قال الراجز:

أو يقضي الله ذبابات الديون

وأرض مذبة بفتح الميم والذال أي ذات ذباب، وقال الفراء: أرض مذبوبة كما يقال: أرض موحوشة أي ذات وحوش، وسمّي ذباباً لكثرة حركته واضطرابه وقيل لأنّه كلّما ذب آب، وكنيته أبو حفص وأبو حكيم وأبو الحدرس، والذباب أجهل الخلق لأنّه يلقي نفسه في الهلكة، قال الجوهري: يقال: ليس شيء من الطيور يلغ إلاّ الذباب، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة في العنكبوت قول أفلاطون: إنّ الذباب أحرص الأشياء، ولم يخلق للذباب أجفان لصغر أحداقها، ومن شأن الأجفان أن تصقل بهما مرآة الحدقة من الغبار فجعل الله لها عوضاً من الأجفان يدين تصقل مرآة حدقتها، فلهذا ترى الذباب أبداً يمسح بيديه عينيه، وهو أصناف كثيرة متولدة من العفونة. قال الجاحظ: الذباب عند العرب يقع على الزنابير والنحل والبعوض بأنواعه كالبق والبراغيث والقمل والصؤاب والناموس والفراش والنمل. والذباب المعروف عند الإطلاق العرفي وهو أصناف النعر والقمع والخازباز والشعراء

وذباب الكلاب وذباب الرياض وذباب الكلأ. والذباب الذي يخالط الناس يخلق من السفاد وقد يخلق من الأجساد، ويقال: إنّ الباقلا إذا عتق في موضع استحال كله ذباباً وطار من الكوى التي في ذلك الموضع، ولا يبقى فيه غير القشر، انتهى.

روى الحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّه قال وهو على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنّه لم يبق من الدنيا إلاّ مثل الذباب تمور في جوّها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم**»، ومعنى تمور: تذهب وتجيء، والجو ما بين السماء والأرض، وفي «**مسند أبي يعلى الموصلي**» من حديث أنس رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**عمر الذباب أربعون ليلة والذبابة كله في النار إلاّ النحل**»، وهو في «**الكامل**» في ترجمة عمرو بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الذباب كلّه في النار إلاّ النحل**»، قيل: كونه في النار ليس بعذاب له، وإنّما ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم.

وروى النسائي والحاكم عن أبي المليح عن أبيه أسامة بن عمير بن عامر الاقيش الهذلي البصري، قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثر بعيرنا، فقلت: تعس الشيطان، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقل تعس الشيطان فإنّه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول بقوّتي ولكن قل بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة**»، ورواه أبو داود عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثرت دابته، فقلت... الخ، ورواه ابن السني كما رواه النسائي والحاكم، وصرح فيه أنّ أبا المليح رواه عن أبيه أسامة بن مالك، وكلتا الروايتين صحيحة، فإنّ الرجل المجهول في رواية أبي داود صحابي، والصحابة كلّهم عدول لا تضر الجهالة بأعيانهم، وقال الإمام العلامة الذهبي الرجل المجهول المبهم أبو عزة، ورواه خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن أبيه خالد قال: كنت رديفاً للنبيّ ﷺ، فعثرت الناقة، فقال... إلى آخره، كذا هو في «**أسد الغابة**» في ذكر المنسوبين إلى القبائل، وأمّا قوله: تعس، فقيل معناه هلك؛ وقيل سقط؛ وقيل عثر: وقيل: لزمه الشر، وتعس بفتح العين وكسرها والفتح أشهر، ولم يذكر الجوهري غير الفتح. وروى الطبراني وابن أبي الدنيا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ: «**وكّل بالمؤمن مائة وستّون ملكاً يذبون عنه ما لم يقدر عليه، فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كلٌّ باسط يديه فاغر فاه، ولو وكّل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين**». والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل والدبر ونحوها كلها واحداً كما تقدم، وجالينوس يقول إنّه ألوان فللإبل ذباب وللبقر ذباب، وأصله دود صغار يخرج من أبدانهن

فيصير ذباباً وزنابير، وذباب الناس يتولد من الزبل، ويكثر الذباب إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق تلك الساعة، وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشى، وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض، انتهى.

ومن عجيب أمره أنّه يلقى رجيعه على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض، ولا يقع على شجرة اليقطين، ولذلك أنبتها الله على نبيّه يونس عليه الصلاة والسلام لأنّه حين أخرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته، فمنع الله عنه الذباب بذلك، فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه، ولا يظهر كثيراً إلاّ في الأماكن العفنة ومبدأ خلقه منها ثم من السفاد، وربّما بقي الذكر على الأنثى عامة اليوم وهو من الحيوانات الشمسية لأنّه يخفى شتاء ويظهر صيفاً. وبقية أنواعه كالناموس والفراش والنعر والقمع وغيرها ستذكر في أبوابها إن شاء الله تعالى، وما أحسن قول أبي العلاء المعري، ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة:

يا طالب الرزق الهني بقوّة هيهات أنت بباطل مشغوفُ
رعتِ الأسودُ بقوةٍ جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيفُ

ولمحمد الأندلسي في المعنى:

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معكْ
أنت لا تدركه متبعاً وإذا وليت عنه تبعكْ

وفي المعنى أيضاً لأبي الخير الكاتب الواسطي:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين

وقد أجاد الأمير سيف الدين علي بن فليح الظاهري في التحذير من احتقار العدوّ بقوله:

لا تحقرن عدوّاً لان جانبه وإن تراه ضعيف البطش والْجَلَدِ
فللذبابة في الجرح المديد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسدِ

وفي «**تاريخ ابن خلكان**» في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمذاني الزاهد صاحب المقامات والكرامات والأحوال الظاهرات أنّه جلس يوماً للوعظ فاجتمع إليه العالم فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقاء، وآذاه وسأله عن مسألة، فقال له الإمام يوسف: اجلس، فإنّي أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام، فقدم رسول ملك الروم إلى الخليفة، فخرج ابن السقاء مع الرسول إلى القسطنطينية فتنصّر، ومات نصرانياً، وكان ابن السقاء قارئاً للقرآن محموداً في تلاوته، وحكى من رآه بالقسطنطينية قال: رأيته مريضاً ملقى على دكة، وبيده مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه، فقلت له: هل القرآن باق على حفظك؟ فقال: ما أذكر منه إلاّ آية واحدة وهي: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ

مُّسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 2]، والباقي أنسيته، اهـ. نعوذ بالله من سخطه وخذلانه ونسأله حسن الخاتمة، فانظر يا أخي كيف هلك هذا الرجل وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد، نسأل الله السلامة، فعليك يا أخي بالاعتقاد وترك الانتقاد على المشايخ العارفين والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين، فإنّ حرابهم مسمومة، فقل من تعرض لهم وسلم، فسلّم تسلم، ولا تنتقد تندم، واقتد بإمام العارفين ورأس الصدّيقين وعلاّمة العلماء العاملين في وقته الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى لمّا عزم على زيارة قطب الغوث بمكة، وقال رفيقاه ما قالا، فقال: أمّا أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك لا على قدم الإنكار والامتحان، فآل أمره إلى أن قال: قدمي هذا على رقبة كل ولي، وآل أمر أحد رفيقيه إلى الكفر وترك الإيمان بالانتقاد وترك الاعتقاد، كما اتفق في هذه الحكاية وآل أمر الآخر إلى اشتغاله بالدنيا وتركه خدمة المولى لقلّة التوفيق، فنسأل الله التوفيق والهداية والإماتة على الإيمان به وبرسوله والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمد وآله.

حدث يحيى بن معاذ أنّ أبا جعفر المنصور كان جالساً فألح على وجهه ذباب حتى أضجره، فقال: انظروا من بالباب، فقالوا: مقاتل بن سليمان، فقال: علي به، فلمّا دخل عليه قال له: هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟ قال: نعم، ليذل به الجبابرة، فسكت المنصور. ومقاتل بن سليمان مشهور بتفسير كتاب الله العزيز وأخذ الحديث عن جماعة، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: كلّهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان في التفسير وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر وعلى أبي حنيفة في الفقه، قعد مقاتل بن سليمان يوماً، فقال: سلوني عمّا دون العرش، فقال له رجل: آدم عليه الصلاة والسلام لمّا حجّ أوّل حجّة حجّها من حلق رأسه؟ فقال: ليس هذا من علمكم، ولكني ابتليت لما أعجبتني نفسي، وقيل إنّه قيل له الذرة أو النملة أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها فلم يدر ما يقول، فكانت عقوبة عوقب بها، وأنشد أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى:

مَن تحلّى بغير ما هو فيه فضحته شواهدُ الامتحان

والعلماء مختلفون فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من كذّبه، وترك حديثه، قيل إنّه كان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه؛ وقيل إنّه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، كان مشبهاً، قال ابن خلكان وغيره: وهذا لا أعتقد صحته. وتوفي مقاتل بن سليمان في سنة خمس وخمسين ومائة، وفي «**مناقب الإمام الشافعي**» أنّ المأمون سأله، فقال: لأي شيء خلق الله الذباب، فقال: مذلة للملوك، فضحك المأمون وقال: رأيته وقد وقع على جسدي، فقال: نعم، ولقد سألتني عنه، وما عندي جواب فلمّا رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله منك أحد فتح الله لي فيه بالجواب، فقال: لله درك. وفي «**شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار**» مسنداً أنّ النبيّ ﷺ كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ذباب أصلاً.

الحكم: كل أنواعه يحرم أكلها، وفيه وجه أنّه يحل، حكاه الرافعي، وقال الماوردي: من الفقهاء من أباح الذباب المتولد من مأكول كالفول ونحوه، ولعل قائل هذا القول هو الذي يقول بإباحة المتولد من الفواكه.

فرع: قال في «**الإحياء**» في أوّل «**كتاب الحلال والحرام**» لو وقعت ذبابة أو نملة في قدر طبيخ وتهرت أجزاؤها لم يحرم أكل ذلك الطبيخ لأنّ تحريم أكل الذباب والنمل ونحوهما إنّما كان للاستقذار ولا يعد هذا مستقذراً، قال: ولو وقع فيه جزء من لحم آدمي ميت لم يحل أكل ذلك الطبيخ حتى لو كان لحم الآدمي وزن دانق حرم الطبيخ لا لنجاسته فإنّ الآدمي الميت طاهر على الصحيح خلافاً لأبي حنيفة، ولكن لأنّ أكل لحم الآدمي حرام لحرمته لا لاستقذاره بخلاف الذباب، هذا كلام الغزالي رحمه الله تعالى، قال في «**شرح المهذب**»: الصحيح المختار أنّه لا يحرم أكل الطبيخ في مسألة لحم الآدمي لأنّه صار مستهلكاً، فهو كالبول، وغيره إذا وقع في قلتين من الماء فإنّه يجوز استعمال جميعه لأنّ البول صار باستهلاكه كالعدم، وروى البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليمقله فإنّ في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء وإنّه يتقي بجناحه الذي فيه الدواء**»، وفي رواية النسائي وابن ماجه: «**إنّ أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء، فإذا وقع في الطعام فامقلوه فإنّه يقدم السم ويؤخر الشفاء**». قال الخطابي: وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له، وقال: كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي ذبابة وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الدواء وتؤخر جناح الشفاء وما أداها إلى ذلك؟ قال: وهذا سؤال جاهل أو متجاهل، فإنّ الذي يجد نفسه ونفس سائر الحيوانات قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ثم يرى أنّ الله قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان التي منها بقاؤه وصلاحه لجدير أن لا ينكر اجتماع الداء والشفاء في جزأين من حيوان واحد، وإنّ الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وتعسل فيه وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحاً وتؤخر جناحاً لما أراده من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد والامتحان الذي هو مضمار التكليف، وله في كل شيء حكمة وعنوان ما يذكر إلا أولو الألباب انتهى.

وقد تأمّلت الذباب فوجدته يتقي بجناحه الأيسر وهو مناسب للداء، كما أنّ الأيمن مناسب للدواء، وقد استفيد من الحديث إذا وقع في المائع لا ينجسه لأنّه ليس له نفس سائلة هذا هو المشهور، وفي قول ينجسه كسائر الميتات النجسة، وفي ثالث مخرج أنّ ما يعم وقوعه كالذباب والبعوض لا ينجس وما لا يعم كالخنافس والعقارب ينجس وهو متّجه لا محيد عنه، ومحل الخلاف في ميتة أجنبية أمّا الناشيء منه كدود الفواكه والجبن والخل، فلا ينجس ما

مات فيه بلا خلاف، كذا قاله الشيخان وابن الرفعة، وحكى الدارمي في المسألة ثلاثة أوجه ثالثها الفرق بين الكثير والقليل، ومحل ذلك ما لم يتغيّر به لكثرته فإن كثر وتغير به فالأصح أنّه ينجسه ومحله أيضاً إذا وقع فيه بنفسه فإذا طرح فيه ضر.

فرع: لو وقع الزنبور أو الفراش أو النحل وأشباه ذلك في الطعام هل يؤمر بغمسه لعموم قوله ﷺ: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم**» الحديث، وهذه الأنواع كلها يقع عليها اسم الذباب في اللغة كما تقدم نقله عن الجاحظ وغيره، وقد قال علي رضي الله عنه في العسل: إنّه مذقة ذبابة، وروي: الذباب كلّه في النار إلاّ النحل كما سبق، فسمّى الكل ذباباً. وإذا كان كذلك فالظاهر وجوب حمل الأمر بالغمس على الجميع إلاّ النحل، فإنّ الغمس قد يؤدّي إلى قتله وهو حرام.

الأمثال: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج: 73]، الآية، معنى ضرب أثبت وألزم نحو ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: 61] وضربت عليهم الجزية، ويحتمل أن يكون من الضريب الذي هو المثل، وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أنّ الشيطان خدعهم حيث وصفوا بالإلٰهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلّها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل. وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أنّ هذا الخلق الأذل الأقل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ الأصنام كانت ثلثمائة وستّين صنماً حول الكعبة، وكانوا يضمخونها بأنواع الطيب ويطلون رؤوسها بالعسل، وكان الذباب يذهب بذلك، وكانوا يتألمون من هذه الجهة، فجعلت مثلاً، وقالوا: أجرأ من ذبابة وأهون من ذبابة وأطيش وأخطأ من الذباب لأنّه يلقي نفسه في الشيء الحار والشيء الذي يلتصق به، ولا يمكنه التخلص، وقالوا: أوغل من ذباب، قال الشاعر:

أوغلُ في التطفيل من ذباب ... على طعام وعلى شرابِ
لو أبصر الرغفان في السحاب ... لطار في الجو بلا حجابِ

قال أبو عبيد: كان رجل من أهل الكوفة يقال له طفيل بن دلال من بني عبد الله بن غطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها، وكان يقال له طفيل الأعراس، وكان أوّل رجل لابس هذا العمل في الأمصار فصار مثلاً ينسب إليه كل من يقتدي به، وقالوا: أزهى من ذبابة، وقالوا: أصابه ذباب لادغ، يضرب لمن نزل به شيء عظيم يرق له من سمعه، وقالوا: ما يساوي متك ذباب يضرب للشيء الحقير والمتك العرق الذي في باطن الذكر، وهو كالخيط في باطنه على خلقة العجان. وفي «**كتاب النصائح**» لابن ظفر قال: رأيت في أخبار بعض الملوك أنّ وزيره أشار عليه بجمع الأموال وادّخارها، وقال: إنّ الرجال وإن تفرّقوا عنك اليوم متى احتجتهم عرضت عليهم الأموال فتهافتوا عليك، فقال: هل لهذا من شاهد؟ قال: نعم،

هل بحضرتنا الساعة ذباب؟ قال: لا، فأمر الوزير بجفنة فيها عسل، فأحضرت فتساقط عليها الذباب، فاستشار الملك بعض خواص أصحابه فنهاه عن ذلك، وقال: لا تغير قلوب الرجال، فليس كل وقت أردتهم يحضرون، فقال: فهل لذلك من دليل؟ قال: نعم، إذا أمسينا أخبرتك، فلمّا أظلم الليل قال للملك أحضر جفنة العسل، فأحضرت فلم تحضر ذبابة، فرجع الملك عن رأيه الأوّل.

الخواص: قال الجاحظ: إذا ضرب اللبن بالكندس ونضح به البيت لم يدخله ذباب، وإذا أخذت ذبابة وفصلت رأسها ودلّكت بها قرصة الزنبور سكنت، وإذا أحرق الذباب وسحق وخلط بعسل وطلي به داء الثعلب فإنّه ينبت فيه الشعر، وإذا ماتت الذبابة فنثر عليها خبث الحديد عاشت من وقتها، وإذا بخّر البيت بورق القرع أو ندس أو سليخة ذهب منه الذباب، وإذا طبخ ورق القرع ورشّ به البيت أو الحيطان لم يقع فيه ذباب، انتهى.

صفة طلسم لمنع الذباب: يؤخذ كندس جديد وزرنيخ أصفر أجزاء متساوية يسحقان ويعجنان بماء بصل الفار ويدهن ويعمل منه تمثال ويوضع على المائدة فلا يقربها ذباب ما دام عليها، وإذا وضع على باب البيت باقة من الحشيشة التي يقال لها سادريون فلا يدخل البيت ذباب ما دامت الباقة معلّقة على الباب، وإذا أخذت الذباب الكبير فقطعت رؤوسهن وحككت بجسدهن موضع الشعر التي تنبت في الجفن حكّاً شديداً فإنّه يذهبها أصلاً، وهو عجيب مجرّب، وإذا أخذت ذبابة وجعلت في خرقة كتّان وربطت بخيط ووسع الربط عليها وعلّقت على من يشتكي عينه سكن ألمه وتعلّق في عنقه أو عضده، وإن شدخ الذباب وضمد به العين الوارمة أبرأها، وقال محمد بن زكريا القزويني: رأيت في كتب الطبيعيات الرومية: إذا علّقت ذبابة حية على من يشتكي ضرسه برىء، ومن عضه كلب كلب فليستر وجهه عن الذباب، فإنّ ذلك ممّا يؤذيه، والله أعلم.

التعبير: الذباب في المنام خصم ألد وجيش ضعيف، وربّما دل اجتماعه على الرزق الطيب، وربّما دل على الداء والدواء للحديث المتقدّم، وربّما دلت رؤيته على الأعمال السيئة والوقوع فيما يوجب التقريع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾، إلى قوله ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73]

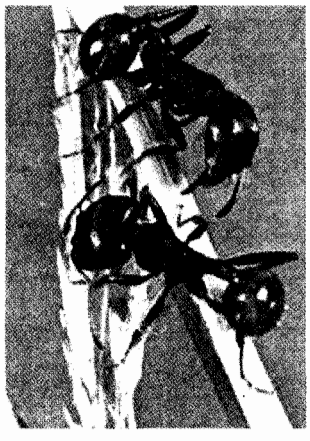

الذر: النمل الأحمر الصغير واحدته ذرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40]، أي لا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة أي وزن ذرة، وسئل ثعلب عنها، فقال: إنّ مائة نملة وزن حبة، والذرة واحدة منها؛

وقيل إنّ الذرة ليس لها وزن، ويحكى أنّ رجلاً وضع خبزاً حتى علاه الذر وستره ثم وزنه فلم يزد شيئاً؛ وقيل: الذر أجزاء الهباء في الكوة، وكل جزء منه ذرة ولا يكون لها وزن. وفي «**صحيح مسلم**» وغيره من حديث أنس رضي الله عنه في شفاعة النبيّ ﷺ يوم القيامة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة صحفها شعبة بن بسطام، وقال مثقال ذرة بضم الذال وتخفيف الراء، وقال العبدري: إنّما قال درّة بالدال المهملة وتشديد الراء واحدة الدر وهو تصحيف التصحيف قال ابن بطة من الحنابلة في تفسير الآية: مثقال مفعال من الثقل، والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي أصغر ما يكون إذا مر عليها حول لأنّها تصغر وتحرى كما تفعل الأفعى تقول العرب أفعى حارية وهي أشدّها سماً قال امرؤ القيس:

من القاصراتِ الطرفَ لو دبَّ مُحْوِلٌ من الذر فوق الإتب منها لأثّرا

المحول الذي أتى عليه حول والأتب ثوب تلقيه المرأة في عنقها بلا كم ولا جيب، وقال حسان:

لو يدبُّ الحَولِيُّ من ولدِ الذرّ عليها لأندبتْها الكُلومُ

أي لو دبت الحولية من الذر عليها لأثرت بها الكلوم، وقال الهيلي وغيره: أهلك الله تعالى جرهم بالذر والرف حتى كان آخرهم موتاً امرأة رؤيت تطوف بالبيت بعدهم بزمان فتعجّبوا من طولها وعظم خلقها حتى قال لها قائل: أجنّية أنت أم إنسية؟ فقالت: إنسية من جرهم ثم اكترت من رجلين من جهينة بعيراً إلى أرض خيبر، فلمّا أنزلاها استخبراها عن الماء، فأخبرتهما فوليا فأتاها الذر، فتعلق بها إلى أن انتهى إلى خياشيمها، ثم نزل إلى حلقها فهلكت.

وعبر عن الذرّة يزيد بن هارون بأنّها دودة حمراء، وهي عبارة فاسدة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: الذرّة رأس النملة، وقال بعض العلماء: لأن تفضل حسناتي سيئاتي بمثقال ذرّة أحب إليّ من الدنيا وما فيها، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7-8]، انتهى. وهذه الآية كان رسول الله ﷺ يسمّيها الجامعة الفاذة أي المنفردة في معناها. وروى البيهقي في «**الشعب**» من حديث صالح المري عن الحسن عن أنس أنّ سائلاً أتى النبيّ ﷺ فأعطاه تمرة، فقال السائل: سبحان الله نبيّ من أنبياء الله يتصدّق بتمرة!، فقال النبيّ ﷺ: «**أوَما علمت أنّ فيها مثاقيل ذر كثير**»، ثم أتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة، فقال: تمرة من نبيّ من الأنبياء لا تفارقني هذه التمرة ما بقيت ولا أزال أرجو بركتها أبداً فأمر له بمعروف، وفي رواية قال للجارية: «**اذهبي إلى أم سلمة فمريها فلتعطه الأربعين درهماً التي عندها**»، قال أنس: فما لبث الرجل أن استغنى.

وروى الإمام أحمد في «**مسنده**» بإسناد رجاله ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة**». وأعطى

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سائلاً تمرتين فقبض السائل يده، فقال له سعد: يا هذا إنّ الله قد قبل منّا مثاقيل الذر. وفعلت عائشة رضي الله عنها في هذا حبة عنب. وسمع هذه الآية صعصعة بن عقال التميمي عند النبيّ ﷺ فقال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع آية غيرها، وسمعها رجل عند الحسن البصري فقال: انتهت الموعظة، فقال الحسن: فقه الرجل. وروى الحاكم في «**المستدرك**» عن أبي أسماء الرحبي أنّ هذه السورة نزلت وأبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يأكل مع النبيّ ﷺ فترك أبو بكر الأكل وبكى، فقال له النبيّ ﷺ: «**ما يبكيك؟**» فقال: يا رسول الله أوَنسأل عن مثاقيل الذرّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذرّ الخير إلى الآخرة**». قال: والذرة نملة صغيرة حمراء لا يرجح بها ميزان.

وروى الإمام أحمد في «**الزهد**» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال على صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس**»، قال: «**ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار**»، وقيل: يا رسول الله وما نار الأنيار؟ قال: «**عصارة أهل النار**»، ورواه صاحب «**الترغيب والترهيب**».

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يغشاهم الصغار من كل مكان ويساقون إلى سجن من النار يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من طينة الخبال، وهي عصارة أهل النار**»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وفي «**شعب الإيمان**» للبيهقي عن الأصمعي قال: مررت بأعرابية في البادية في كوخ فقلت لها: يا أعرابية من يؤنسك ههنا؟ قالت: يؤنسني مؤنس الموتى في قبورهم، قلت: ومن أين تأكلين؟ قالت: يطعمني مطعم الذرة وهي أصغر مني. وفي «**المدهش**» للإمام العلاّمة أبي الفرج بن الجوزي أنّ رجلاً من العجم طلب الأدب حيناً، فبينما هو في بعض الطريق سائر إذ مر بصخرة ملساء فتأمّلها فإذا ذر يدب عليها وقد أثر عليها من كثرة دبيبه ففكر وقال: مع صلابة هذا الحجر وخفة هذا الذر، قد أثر فيه هذا الأثر، فأنا أحرى على أن أدوم على الطلب، فلعلي أظفر ببغيتي، فراجع الإثبات على الأدب، فلم يلبث أن خرج مبرزاً، وهكذا يجب أن يكون طالب فائدة دينية أو دنيوية لاسيّما طالب التوحيد والمعرفة أن يكون كراراً غير فرار، فإمّا الظفر والغنيمة وإمّا القتل والشهادة. وسئل أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى عن العارف، فقال: هو أن يكون وحداني التدبير، فرداني المعنى، صمداني الرؤية، ربّاني القوة، وحداني العيش، نوراني العلم، خلداني العجائب، سماوي الحديث، وحشي الطلب، ملكوتي السر، عنده مفاتح الغيب وخزائن الحكم وجواهر القدس وسرادقات الأبرار، فإذا جاوز الحد وارتفع إلى أعلى فهو غير مدرك، وحاله غير موصوف. وفي «**صحيح مسلم**» عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال: «**إنّ الله جميل يحب**

الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»، ورواه الترمذي وقال حسن غريب؛ وقيل المراد بالكبر ههنا الكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلاً إذا مات عليه؛ وقيل: لا يكون في قلبه كبر حين دخول الجنة كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: 43] الآية. وهذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع عن الناس واحتقارهم، والظاهر فيه ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنّه لا يدخلها دون مجازاة أو لا يدخلها مع أوّل الداخلين، وأمّا قوله فقال رجل فذلك الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي قاله القاضي عياض، وأشار إليه ابن عبد البر، وحكى أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في اسمه أقوالاً أحدها أنّه أبو ريحانة واسمه شمعون؛ وقيل ربيعة بن عامر؛ وقيل سواد بالتخفيف بن عمرو؛ وقيل معاذ بن جبل، ذكره ابن أبي الدنيا في «**كتاب الخمول والتواضع**»؛ وقيل عبد الله بن عمرو بن العاص، ومعنى قوله: «**إنّ الله جميل**» أي أنّ كل أمره سبحانه حسن وجميل، فله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال؛ وقيل جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع، وقال أبو القاسم القشيري: معناه جليل؛ وقيل معناه ذو النور والبهجة أو مالكهما؛ وقيل معناه جميل الأفعال بكم، والنظر إليكم يكلفكم اليسير ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل سبحانه ما أكرمه. قال الشيخ الإسلام يحيى النووي رحمه الله تعالى: هذا الاسم ورد في الحديث الصحيح وورد في الأسماء الحسنى، وفي إسناده مقال، والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى. ومن العلماء من منعه، وقال إمام الحرمين أبو المعالي: ما ورد به الشرع جوزنا إطلاقه وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجويز ولا منع فإنّ الأحكام الشرعية تتلقّى من موارد الشرع، ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنّا مثبتين حكماً بغير الشرع، ثم لا يشترط في جواز الإطلاق ورود ما نقطع به في الشرع ولكن ما يقتضي العمل وإن لم يوجب العمل فإنّه كاف إلاّ أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بها في تسمية الله تعالى وصفته، قال النووي: وقد اختلف أهل السنة في تسميته تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه، فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلاّ أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه، فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه فأجازه طائفة وقالوا: الدعاء به والثناء من باب العمل، وذلك جائز بخبر الواحد، ومنعه آخرون لكونه راجعاً إلى اعتقاد ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى، وطريق هذا القطع، قال القاضي: والصواب جوازه لاشتماله على العمل ولقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وهو كما قال، وأمّا قوله «**وغمط الناس**» كذا في نسخ «**صحيح مسلم**»، وكذلك ذكره أبو داود في «**مصنفه**»، وذكره الترمذي وغيره غمص بالصاد المهملة وهما بمعنى واحد وهو احتقارهم.

وأمّا رؤيته في المنام فإنّها تعبر بالنسل لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن

﴿ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172]، والذر أيضاً يعبر بالضعفاء من الناس، وقيل الذر جند لأنّه من النمل، والله تعالى أعلم.

الذراح: قال الجوهري: الذراح والذروح بالضم: دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من السموم، والجمع الذراريح وقال سيبويه: واحد الذراريح ذرحرح وليس عنده في الكلام فعول بواحدة، وكان يقول: سبوح قدوس بفتح أوائلهما. والذراح أنواع، فمنه ما يتولّد من الحنطة ومنه دود الصنوبر ومنه ما في أجنحته خطوط صفر ولونه مختلف وأجسامها كبار طوال ممتلئة قريبة الشبه من بنات وردان.

الحكم: يحرم أكلها لاستخباثها.

الخواص: الذراريح تنفع الجرب والعلة التي ينقشر معها الجلد ويخلط في الأدوية الموافقة للأورام كالسرطان والقوابي الرديئة، قال الرازي: الاكتحال منها ينفع الطرفة في العين وإذا طلي بها مسحوقة قتلت القمل، وإذا طبخت في زيت أبرأ ذلك الزيت داء الثعلب، وزعم القدماء من الأطباء أنّه إذا جعل شي منها في خرقة حمراء وعلّقت على من به حمى أبرأته بخاصية عجيبة.

الذرع: بالتحريك ولد البقرة الوحشية تقول منه أذرعت البقرة فهي مذرع.

الذعلب: والذعلبة الناقة السريعة، وفي حديث سواد بن مطرف الذعلب الناقة الوجناء.

الذئب: يهمز ولا يهمز وأصله الهمزة، والأنثى ذئبة، وجمع القلة أذؤب وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان ويسمّى الخاطف والسيد والسرحان وذؤالة والعملس والسلق، والأنثى سلقة والسمسام وكنيته أبو مذقة لأنّ لونه كذلك، قال الشاعر:

حتى إذا جَنَّ الظلامُ واختلطْ جاؤوا بمذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ؟

ومن كناه الشهيرة أبو جعدة، قال عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة حين أراد قتله:

وقالوا: هي الخمر تكنى الطلا كما الذئبُ يكنى أبا جعدة

ضربه مثلاً أي تظهر لي الإكرام وأنت تريد قتلي، كما أنّ الخمرة وإن سمّيت طلاء وحسن اسمها فإنّ فعلها قبيح، وكذلك الذئب وإن حسنت كنيته فإنّ فعله قبيح، والجعدة الشاة، وقيل: نبت طيب الريح ينبت في الربيع، ويجف سريعاً. وسئل ابن الزبير عن المتعة فقال: الذئب يكنى أبا جعدة، يعني أنّ المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى، كما أنّ الذئب حسن

الكنية قبيح الفعل. ومن كناه: أبو ثمامة، وأبو جاعد، وأبو رعلة، وأبو سلعامة، وأبو العطلس، وأبو كاسب، وأبو سبلة. ومن أسمائه الشهيرة: أويس مصغراً ككميت، ولحيف، قال الشاعر الهذلي:

يا ليتَ شعري عنك والأمر عمـمْ ما فعل اليوم أويسٌ بالغَنَمْ؟

ومن أوصافه: الغبش وهو لو كلون الرماد، يقال: ذئب أغبش وذئبة غبشاء. روى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلي وعبد الباقي بن قانع أنّ الأعشى الشاعر المازني الحرمازي واسمه عبد الله بن الأعور: كانت عنده امرأة يقال لها معاذة، فخرج في شهر رجب يمير أهله من هجر، فهربت امرأته ناشزة عليه، فعاذت برجل منهم يقال له مطرف بن بهصل بن كعب بن قميع بن دلف بن أهصم بن عبد الله بن الحرماز، فجعلها خلف ظهره، فلمّا قدم لم يجدها في بيته فأخبر بخبرها فطلبها منه، فلم يدفعها إليه، وكان مطرف أعز منه في قومه، فأتى النبيّ ﷺ فعاذ به وأنشأ يقول:

يا سيّد الناس وديّانَ العربْ أشكو إليكَ ذَرْبَةً من الذّرَبْ
كالذئبةِ الغبشاء في ظل السربْ خرجتُ أبغيها الطعامُ في رجَبْ
فخالفتني بنزاعٍ وهرَبْ وقذفتني بين عيصٍ مُؤْتَشبْ
أخلفتِ العهدَ ولطَّت بالذنبْ وهنّ شرٌ غالبٌ لمن غلبْ

فقال النبيّ ﷺ عند ذلك: «**وهن شر غالب لمن غلب**» كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة، وأصله من ذرب المعدة وهو فسادها، وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها، مأخوذ من قولهم ذرب لسانه إذا كان حاد اللسان لا يبالي بما يقول، والعيص بالعين والصاد المهملتين: أصل الشجر، والمؤتشب: الملتف، وقوله: لطت بالذنب، وهو بالطاء المهملة أراد به أنّها منعته بضعها، من لطت الناقة بذنبها إذا سدّت فرجها به إذا أرادها الفحل، وقيل: أراد توارت وأخفت شخصها عنه كما تخفي الناقة فرجها بذنبها، وكان الأعشى المذكور شكا إلى النبيّ ﷺ امرأته وما صنعت وأنّها عند رجل منهم يقال له مطرف بن بهصل، فكتب النبيّ ﷺ إلى مطرف: «**انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه**»، فأتاه بكتاب النبيّ ﷺ فقرأه عليه، فقال لها: يا معاذة هذا كتاب رسول الله فيك وأنا دافعك إليه، فقالت: خذ لي العهد والميثاق وذمّة النبيّ ﷺ أن لا يعاقبني فيما صنعت، فأخذ لها ذلك ودفعها مطرف إليه فأنشأ يقول:

لعمرك ما حبي معاذة بالذي يغيره الواشي ولا قدمُ العهدِ
ولا سوء ما جاءت به إذ أزلها غواة رجال إذْ يناجونها بعدي

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28]، استعظم كيد النساء على كيد الشيطان لأنّه وإن كان في الرجال كيد إلاّ أنّ النساء ألطف كيداً وأنفذ حيلة ولهن في ذلك رفق، وبذلك يغلبن الرجال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى

﴿ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: 4]، والنفّاثات من بينهن اللاتي لهن ما ليس لغيرهن من البوائق، وعن بعض العلماء أنّه قال: أنا أخاف من النساء أكثر ممّا أخاف من الشيطان لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]، وقال في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 28]. وفي «**تاريخ ابن خلكان**» في ترجمة عمر بن أبي ربيعة قال: بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة تطوف بالبيت فأعجبته، فسأل عنها، فإذا هي من البصرة، فكلّمها مراراً فلم تلتفت إليه، وقالت: إليك عنّي، فإنّك في حرم الله في موضع عظيم الحرمة، فلمّا ألح عليها ومنعها من الطواف أتت محرماً لها وقالت له: تعال معي أرني المناسك، فحضر معها، فلمّا رآها عمر بن أبي ربيعة عدل عنها فتمثّلت بشعر الزبرقان بن بدر السعدي:

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له وتتقي مربضَ المستأسدِ الضاري

فبلغ المنصور خبرهما فقال: وددت أن لم تبق فتاة في خدرها إلاّ سمعته. وكانت ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان الحسن البصري يقول إذا جرى ذكر ولادته: أي حق رفع وأي باطل وضع؟ وغزا في البحر فأحرقوا السفينة فاحترق، وذلك في سنة ثلاث وثمانين.

وللأسد والذئب في الصبر على الجوع ما ليس لغيرهما من الحيوان، لكن الأسد شديد النهم حريص، رغيب، شره، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً، والذئب وإن كان أقفر منزلاً وأقل خصباً وأكثر كداً إذا لم يجد شيئاً اكتفى بالنسيم فيقتات به، وجوفه يذيب العظم المصمت، ولا يذيب نوى التمر، ولا يوجد الالتحام عند السفاد إلاّ في الكلب والذئب، ومتى التحم الذئب والذئبة وهجم عليها هاجمٌ قتلَهُما كيف شاء، إلاّ أنّهما لا يكادان يوجدان كذلك لأنّهما إذا أراد السفاد توخّيا موضعاً لا يطؤه الإنس خوفاً على أنفسهما، ويسفد مضطجعاً على الأرض، وهو موصوف بالانفراد والوحدة، وإذا أراد العدو فإنّما هو الوثب والقفز ولا يعود إلى فريسة شبع منها أبداً. ومن عجيب أمره أنّه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظى حتى تكتفي العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة، قال حميد بن ثور في وصفه في أبيات مشهورة:

ونمت كنوم الذئب في ذي حفيظةٍ أكلت طعاماً دونه وهو جائعُ
ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي بأخرى الأعادي، فهو يقظان هاجعُ

وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلاً فإذا أخذ وضرب بالعصي والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت، وفيه من قوّة حاسة الشم، أنّه يدرك المشموم من فرسخ، وأكثر ما يتعرض للغنم في الصبح، وإنّما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنّه يظل طول ليله حارساً متيقظاً، ومن غريب أمره أنّه إذا اجتمع جلده مع جلد شاة تمعط جلد الشاة، وأنّه متى وطىء ورق الحنظل مات من ساعته. والذئب إذا كدّه الجوع عوى فتجتمع له

الذئاب، ويقف بعضها إلى بعض، فمن ولّى منها وثب إليه الباقون وأكلوه، وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب فتقبل على الإنسان إقبالاً واحداً وهم سواء في الحرص على أكله فإن أدمى الإنسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزّقوه وتركوا الإنسان، وقال بعض الشعراء يعاتب صديقاً له، وكان قد أعان عليه في أمر نزل به:

وكنت كذئبِ السوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدمِ

روى البيهقي في «**الشعب**» عن الأصمعي قال: دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع، فنظرت إليها فقالت: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قالت: جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلمّا كبر قتل شاتنا وقد قلت في ذلك شعراً، قلت لها: ما هو؟ فأنشدته:

بقرت شويهتي وفجعت قلبي ... وأنت لشاتنا ولد ربيبُ
غذيت بدرها وربيت فينا ... فمن أنباك أن أباك ذيبُ
إذا كان الطباعُ طباعُ سوءٍ ... فليس بنافعٍ فيها الأديبُ

وهو إذا خافه إنسان طمع فيه، وإذا طمع الإنسان فيه خافه، ويقطع العظم بلسانه ويبريه بري الميف، ولا يسمع له صوت، ويقال: عوى الذئب كما يقال عوى الكلب، قال الشاعر:

عوى الذئبُ فاستأنستُ للذئب إذ عوى ... وصوّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ!

وقال آخر:

ليت شعري كيف الخلاصُ من النا ... س وقد أصبحوا ذئاب اعتداءِ
قلت لما بلاهم صدق خُبْري: ... رضي الله عن أبي الدرداءِ

أشار إلى قول أبي الدرداء: إيّاكم ومعاشرة الناس، فإنّهم ما ركبوا قلب امرىء إلاّ غيّروه، ولا جواداً إلاّ عقروه، ولا بعيراً إلاّ أدبروه. وروى السهيلي في الكلام على غزوة أحد في حديث مسند أنّه قال: لمّا ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه النبيّ ﷺ وقال: «**هو هو ورب الكعبة**»، فلمّا سمعت أمّه أسماء ذلك أمسكت عن إرضاعه، فقال لها النبيّ ﷺ: «**أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو يقتلن دونه**». وروى ابن ماجه والبيهقي عن كعب بن مالك وقال: حديث صحيح حسن أنّ النبيّ ﷺ قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه**»، وقد نص الله تعالى على ذم الحرص بقوله: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ**﴾ [البقرة: 96]. وروى ابن عدي عن عمرو بن حنيف عن ابن عباس ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «**أُدخلت الجنّة فرأيت فيها ذئباً فقلت: أذئب في الجنة؟، فقال: أكلت ابن شرطي**»، قال ابن عباس: هذا وإنّما أكل ابنه فلو أكله رفع في عليين، وقد رأيته كذلك في «**تاريخ نيسابور**» للحاكم في ترجمة شيخه علي بن محمد بن إسمٰعيل الطوسي، وهو حديث موضوع.

وروى الحاكم في «**مستدركه**» بإسناد على شرط مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما راع يرعى بالحرة إذ عدا الذئب على شاة فحال الراعي بينه وبينها فأقعى الذئب على ذنبه، وقال: يا عبد الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ فقال الرجل: واعجباً ذئب يكلّمني؟! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من هذا؟ رسول الله ﷺ بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، فزوى الراعي شياهه إلى زاوية من زوايا المدينة، ثم أتى النبيّ ﷺ فأخبره، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**صدق والذي نفسي بيده**».

فائدة: قال ابن عبد البر وغيره: كلّم الذئب من الصحابة ثلاثة: رافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلمي رضي الله عنهم، قال: ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان يتعجبون منه، وذلك أن أهبان بن أوس المذكور كان في غنم له فشد الذئب على شاه منها فصاح به أهبان فأقعى الذئب وقال: أتنزع منّي رزقاً رزقنيه الله تعالى؟ فقال أهبان: ما سمعت ولا رأيت أعجب من هذا، ذئب يتكلّم؟! فقال الذئب: أتعجب من هذا ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات ـ وأومأ بيده إلى المدينة ـ يحدث بما كان، وبما يكون ويدعو الناس إلى الله وإلى عبادته وهم لا يجيبونه، قال أهبان بن أوس: فجئت النبيّ ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت، فقال لي: «**حدّث به الناس**»، قال عبد الله بن أبي داود السجستاني الحافظ: فيقال لأهبان «مكلم الذئب» ولأولاده أولاد «مكلم الذئب»، ومحمد بن الأشعث الخزاعي من ولده واتفق مثل ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع، انتهى.

وقال البخاري: أنبأنا شعيب، عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راع في غنمه إذ عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب وقال: من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه وكلّمته فقالت: إنّي لم أُخلق لهذا، ولكنّي خلقت للحرث**»، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلّم وبقرة تتكلّم؟! فقال النبيّ ﷺ: «**آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر**»، قال ابن الأعرابي: السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر يوم القيامة، أراد من لها يوم القيامة؛ وقيل: هذا التفسير يفسد بقول الذئب في تمام الحديث: «يوم لا راعي لها غيري»، والذئب لا يكون لها راعياً يوم القيامة؛ وقيل: أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملاً لا راعي لها نهبة للسباع والذئاب، فجعل السبع لها راعياً إذ هو منفرد بها ويكون حينئذٍ بضم الباء وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التي تأتي حتى يهمل الناس فيها مواشيهم وتتمكن منها السباع بلا مانع، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يوم السبع عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم، فيجيء الذئب فيأخذها، وليس هو بالسبع الذي يفترس الناس، قال: وأملاه أبو عامر العبدي الحافظ بضم الباء، وكان من العلم والإتقان بمكان.

وفي «**الصحيحين**» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها: إنّما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنّما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه بذلك، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام: ائتوني بالسكين أشقّه بينكما نصفين، فقالت الصغرى: لا يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى**»، قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله ما سمعت بالسكين قط إلاّ يومئذٍ وما كنّا نقول إلا المدية، واستدل بهذا الحديث من جوز أن المرأة تستلحق اللقيط وأنّه يلحقها لأنّها أحد الأبوين، ونقل صاحب التقريب عن ابن سريج: والأصح أنّه لا يلحقها إذا استلحقته لإمكان إقامة البينة على الولادة بطريق المشاهدة بخلاف الرجل، وفيه وجه ثالث: يلحق الخلية دون المزوّجة لتعذر الإلحاق بها دونه، وإذا قلنا يلحقها بالاستلحاق وكان لها زوج لم يلحقه في الأصح، وليس المراد الزوج من هي في عصمته، بل كونها فراشاً لشخص لو ثبت نسب اللقيط منها بالبينة لحق صاحب الفراش سواء كانت في العصمة أو في العدة.

وروى الإمام أحمد والطبراني بإسناد جيد أنّ النبيّ ﷺ قال: «**الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية إيّاكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد**». وفي «**تاريخ ابن النجار**» عن وهب بن منبه قال: بينما امرأة من بني إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها وصبي لها يدب بين يدها إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وتقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني فبعث الله ملكاً فنزع الصبي من فم الذئب ورمى به إليها وقال: لقمة بلقمة. وهو في «**الحلية**» عن مالك بن دينار، قال: أخذ السبع صبياً لامرأة فتصدّقت بلقمة فرماه السبع فنوديت: لقمة بلقمة. وروى الإمام أحمد في «**الزهد**» عن سالم بن أبي الجعد قال: خرجت امرأة وكان معها صبي لها، فجاء الذئب فاختلسه منها، فخرجت في أثره، وكان معها رغيف فعرض لها سائل فأعطته الرغيف فجاء الذئب بصبيها فردّه عليها. وقد تقدّم نظير ذلك عنه في باب الهمزة في الأسود السالخ.

قال ابن سعد: كان موسى بن أعين راعياً بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز، فكانت الذئاب والشاة والوحش ترعى في موضع واحد، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة، فقلنا: ما نرى الرجل الصالح إلاّ قد مات، فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة، وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة كما تقدّم في الأوز، وكانت مدّة خلافته سنتين وخمسة أشهر. وروى الإمام أحمد في «**الزهد**» أيضاً عن مالك بن دينار قال: لمّا استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاة الشاة: من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس؟ قيل لهم: وما أعلمكم بذلك؟ قالوا: إنّه إذا ولي على الناس خليفة عدل كفّت الذئاب والأسد عن شياهنا.

الحكم: يحرم أكله لتقويته بنابه.

الأمثال: وصفته العرب بأوصاف مختلفة، فقالوا: أغدر من ذئب، وأختل، وأخبث، وأخون، وأجول، وأعتى، وأعوى، وأظلم، وأجرأ، وأكسب، وأجوع، وأنشط، وأوقح، وأجسر، وأيقظ، وأعق، وألأم من ذئب. وقالوا: أخوك أم الذئب، وقالوا: أخف رأساً من الذئب لأنّه ينام بإحدى مقلتيه كما تقدّم، وسيأتي له ذكر في أمثال الغراب. وقالوا في الدعاء على العدو: رماه الله بداء الذئب، أي الجوع، وقالوا: الذئب يكنى أبا جعدة كما تقدّم، وقالوا: من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، أي ظلم الغنم ويجوز أن يراد به ظلم الذئب حيث كلّفه ما ليس في طبعه، وأوّل من قال ذلك أكثم بن صيفي، وقاله عمر ﷺ في قصة سارية بن حصن المشهورة، وذلك أنّه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة، فقال في خطبته: يا سارية بن حصن الجبل الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراده، فلمّا قضى صلاته قال له علي كرّم الله وجهه: ما هذا الذي قلته؟ قال: أوسمعته؟ قال: نعم أنا وكل من في هذا المسجد، قال: وقع في خلدي أنّ المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنّهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وظفروا، وإن جاوزوه هلكوا، فخرج منّي هذا الكلام، فجاء البشير بعد شهر فذكر أنّهم سمعوا في ذلك اليوم وفي تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر ﷺ يقول: يا سارية بن حصن الجبل الجبل، فعدلوا إليه، ففتح الله عليهم، كذا نقله في تهذيب الأسماء واللغات. وفي «**طبقات ابن سعد**» و«**أسد الغابة**» أنّه سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر، وأنشدوا في معنى هذا المثل هذا البيت:

وراعي الشام يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاةُ لها ذئابُ؟!

كان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا في زمانه: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طالونية، وأخفافكم جالونية، وأوانيكم فرعونية، ومراكبكم قارونية، وموائدكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين المحمدية؟!.

الخواص: إذا علق رأس الذئب في برج حمام لم يقربه سنور ولا شيء يؤذي الحمام، وكعب الذئب الأيمن إذا علق على رأس رمح ثم اجتمع عليه جماعة لم يصلوا إليه ما دام الكعب معلقاً على رمحه، وعينه اليمنى من علّقها عليه لم يخف لصاً ولا سبعاً، وخصيته إذا شقّت وملّحت بملح وصعتر وسقي منها وزن مثقال بماء الجرجير من به وجع الخاصرة أبرأه وهو نافع أيضاً لذات الجنب إذا شرب منها بماء حار وعسل، ودمه ينفع من الصمم إذا ديف بدهن الجوز وقطر في الأذن، ودماغه يداف بماء السذاب والزيت ويدهن به الجسد ينفع من كل علة ظاهرة وباطنة في البدن من البرد، وأنيابه وجلده وعينه إذا حملها الإنسان معه غلب خصمه وكان محبباً للناس جميعاً، وكبده تنفع من وجع الكبد، وقضيبه إذا شوي في الفرن

ومضغت منه قطعة هيّجت الباه، وإذا خلطت مرارته بالعسل أو بالماء ولطّخ بها الذكر وقت الجماع أحبّت المرأة الرجل حبّاً شديداً، وإذا علّق ذنب الذئب على معلف بقر لم تقرب إليه ما دام معلّقاً، وإن أجهدها الجوع، وإن بخّر موضع بزبله لم يقربه الفأر، وقيل يجتمع إليه الفأر، وإذا اجتمع جلده وجلد شاة في موضع واحد تجرّد جلد الشاة كما تقدّم، ومن أدمن من الجلوس على جلده أمن من القولنج، وإذا علّق وتر من ذنبه على شيء من الملاهي وضرب بها تقطعت جميع أوتار الغنم التي تكون على الملاهي ولم يسمع لها صوت، وإذا بخّر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التي تلعب بها النساء تشققت، وإن اتخذ طبل من جلده وضرب به بين طبول تشققت الطبول كلّها، وشحمه ينفع من داء الثعلب، وشرب مرارته ينفع من استرخاء البطن، وإذا لطّخ بها على الإحليل جامع الرجل ما شاء، وإذا طلي بمرارته مع مرارة نسر ودهن الزئبق هيّج الباه وأنعظ، وربّما أنزل من لذّة ذلك، وإذا ديفت مرارته بدهن ورد ودهن بها الرجل حاجبيه أحبّته المرأة إذا مشى بين يديها، وإذا خلطت مرارته بورس وطلي بها الوجه أذهب البهق. وعين الذئبة إذا علّقت على من يصرع تمنع من الصرع، وإن أخذ عظم من العظام التي توجد في زبل الذئب وخدش بها الضرس الوجع أبرأه من وقته، وقال جالينوس: يسعط بمرارة الذئب ودهن البنفسج من به الشقيقة المزمنة فإنّه يبرأ، وإن سعط بذلك المولود أمن من الصرع ما عاش، وعيناه إذا علّقتا على صبي لم يصرع، وإن أُخذ جزء من مرارة الذئب وجزء من عسل لم تصبه النار واكتحل به نفع من ظلمة العين وضعف البصر، وإن عقد ذنب الذئب باسم امرأة لم يقدر عليها أحد من الرجال حتى تحل العقدة، وإن خلطت مرارة الذئب بعسل وطلي به الذكر وجامع امرأة فإنّها تحب ذلك الرجل حبّاً شديداً، ودم الذئب ينضج الجراحات.

صفة طلسم لجمع الذئاب: يعمل تمثال ذئب من نحاس ويجوّف داخله ويوضع فيه قضيب ذئب ويصفر به فتجتمع الذئاب التي تسمع صوته إليه.

صفة طلسم تهرب منه الذئاب: يعمل تمثال ذئب من نحاس ويحشى من خرء ذئب ويدفن في أي موضع أردت، فإنّ الذئاب تهرب من ذلك الموضع.

التعبير: تدل رؤيته على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم؛ وقيل: الذئب في الرؤيا لص غشوم ظلوم وجروه ولد لص، فمن رأى جرو ذئب فإنّه يربّي لصاً لقيطاً، وإن تحوّل الذئب حيواناً إنسياً كالخروف وشبهه فإنّه لص يتوب، ومن رأى ذئباً دخل داره فليحذر اللصوص، ومن رأى ذئباً فإنّه يتهم إنساناً، ويكون المتّهم بريئاً لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام، ومن رأى ذئباً وكلباً اتفقا واجتمعا دل على النفاق والمكر والخديعة، والله أعلم.

ذؤالة: اسم للذئب كأسامة للأسد، وهو معرفة سمّي بذلك لأنّه يذأل في مشيته، وهي المشية الخفيفة. وفي الحديث أنّ النبيّ ﷺ مر بجارية سوداء ترقص صبياً لها، وتقول: ذؤال

يا ابن القرم يا ذؤال، فقال النبيّ ﷺ: «**لا تقولي ذؤال فإنّه شر السباع**»، وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد.

الذيخ: بكسر الذال، ذكر الضباع الكثير الشعر والأنثى ذيخة، والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة. روى البخاري في «**أحاديث الأنبياء**» وفي «**التفسير**» عن إسمٰعيل بن عبد الله قال: حدّثني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**يلقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم عليه السلام: ألم أقل لك أن لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنّك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أن يكون أبي في النار، فيقول الله تعالى: إنّي حرمت الجنة على الكافرين، فيقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك، فينظر فإذا بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**»، ورواه النسائي والبزار والحاكم في آخر «**المستدرك**» عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ ﷺ قال: «**ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة يريد أن يدخله الجنّة، قال: فينادى: إنّ الجنة لا يدخلها مشرك لأنّ الله حرّم الجنّة على كل مشرك**»، قال: «**فيقول: أي رب أبي، فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة فيتركه**» قال: فكان أصحاب النبيّ ﷺ يرون أنّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يزدهم رسول الله ﷺ على ذلك، ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ثم روى الحاكم عن حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «**يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول: يا أبت أي ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم، فيقول: خذ بإزرتي فيأخذ بإزرته ثم ينطلق حتى يأتي الله وهو يعرض الخلق، فيقول: يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنّة شئت، فيقول: أي رب وأبي معي، فإنّك وعدتني أن لا تخزيني، قال: فيمسخ الله أباه ضبعاً، ثم يلقى في النار، فيؤخذ بأنفه، فيقول الله تعالى: يا عبدي أبوك هو؟ فيقول: لا وعزّتك**»، ثم قال صحيح على شرط مسلم، وفي حديث خزيمة بن ثابت أو ابن حكيم السلمي البهزي وليس بالأنصاري، والذيخ محرنجم أي كالح منقبض من شدة الجذب، وهو حديث طويل شرحه ابن الأثير في أوائل «**كتاب مثال الطالب**»، والحكمة في كونه مسخ ضبعاً دون غيره من الحيوان أنّ الضبع أحمق الحيوان كما سيأتي إن شاء في أمثال الضبع. ومن حمقه أنّه يغفل عمّا يجب التيقظ له، ولذلك قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: لا أكون كالضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد، واللدم: الضرب الخفيف، فلمّا لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه، وقبل خديعة عدوّه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق، لأنّ الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك، ويقال لها وهي في جحرها: أطرقي أم طريق، خامري أم عامر، أبشري بجراد عطلى وشاة هزلى، فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها

الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها، ولأن آزر لو مسخ كلباً أو خنزيراً لكان فيه تشويه لخلقه، فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه الصلاة والسلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة، قال في «**المحكم**» يقال: ذيخته أي ذللته، فلمّا خفض إبراهيم لأبيه جناح الذل من الرحمة فلم يقبل، حشر بصفة الذل يوم القيامة، وهذه الحكمة هي أحد الأسباب الباعثة على تأليف هذا الكتاب كما تقدّم في خطبته، والله أعلم.

obeikandl.com